الإيمان بالمسيح وحده

عظة للقس تشارلز هادون سبرجون

Charles Haddon Spurgeon

Born: June 19, 1834, Kelvedon, United Kingdom ----- Died: January 31, 1892, Menton, France

ترجمة د/ ماهر فهمي

« يسوع وحده »

بينبغي أن يعرف طالب الخلاص أن خلاصه في الرب يسوع المسيح وحده دون سواه . ففي يسوع كل الكفاية للخلاص من جرم الخطية وسلطانها . لقد دعى اسمه يسوع « لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » . « لابن الانسان سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا ». لقد يسر الله منذ الأزل بتدبير طريق للخلاص بواسطة ابنه الوحيد ، ولكي يتم الخلاص تجسد الرب يسوع ، " واذ وجد في الهيئة كانسان أطاع حتى الموت ، موت الصليب "، ولو كان هناك طريق آخر للخلاص لعبرت عن المسيح كأس المرار ، ولو كان في الإمكان أن نخلص بواسطة أخرى لما بذل ابن الله حياته لأجلنا ، لقد قدمت النعمة غير المحدودة أعظم تضحية ، ولأجلنا بذلت المحبة الإلهية ذاتها . فكيف نظن أنه توجد طريقة أخرى للخلاص غير الطريقة التي دبرها الله ، المعلنة بكل وضوح وجلاء

في كتابه المقدس ؟ . حقا « ليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص. من الخطأ أن نظن أن خلاص المسيح يحتاج إلى مجهود بشرى لكي يصبح كاملا . أي صلاح فينا

يمكننا أن نضيفه الى دم المسيح وبره ؟ . « كثوب عدة كل أعمال برنا » . فهل تصلح هذه لتكمل بره الغالي ؟، هل يمكن أن تخلط الأسمال البالية مع الحرير الناصع البياض ؟. التراب مع التبر ؟ . انها اهانة عظمى للمخلص أن نفكر مثل هذه الأفكار. انها خطية قائمة بذاتها بغض النظر عن خطايانا السالفة التي عملناها. . حتى وان كان لنا أي بر نفتخر به ، وان كانت أوراق التين التي تسترنا لا تجف سريعا، فمن الحكمة أن نضعها جانبا ، ونقبل بر المسيح فلا شك أن الله يسر به أكثر من أي شيء في طبيعتنا. أي صلاح يوجد فينا ؟؟ « ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد» . عن نفسي أعترف أنه لم يوجد في خيط واحد من الصلاح ، ولم يكن في مقدوري أن أنسج ولو قطعة صغيرة من الثياب أستر بها نفسي!

حتى ولو كان لي حلة جميلة من نسيج أعمالى الصالحة لمزقتها في الحال لأرتدي ثياب الخلاص التي يهبها الرب يسوع مجانا لمن " يؤمن به " .

انه مما يمجد الرب يسوع المسيح ويكرمه أن نطلب كل بركة نريدها منه وحده و بهذا نعامله كما يستحق أن يعامل ، وكالاله الوحيد الذي ليس معه اله آخر ، ننظر اليه ونخلص. ومعنى هذا أننا نعامله بالطريقة التي يحبها هو، لأنه يريد أن جميع المتعبين والثقيلى الأحمال يأتون اليه فيريحهم.ان كان يخامرنا أدنى شك في أنه قادر أن يخلص الى التمام ، فاننا نحدد قوته الالهية ونلقى ظلا من الشك على محبته الأبدية ، بل ونجرح شعور صديق الخطاة ، وفي هذه الحالة نسيء الى كرامته في أسمى معانيها - ألا وهي قدرته ورغبته في أن يخلص كل من يتقدم به الى الله .

حين تشب النار في المنزل يتعلق الطفل الصغير برجل المطافىء ويتشبث به دون أن يتساءل عن قوة ساعديه أو اخلاص قلبه في انقاذه ، لكنه يتمسك به بكل قوته . وبينما تشتعل النار ، وترتفع ألسنتها ، ويكاد دخانها يعمى الأبصار ، يمسك الطفل الصغير برجل المطافيء ، ويطوق عنقه بذراعيه الصغيرتين ، فيحمله الرجل وينقذه من الموت المحقق .

بهذه الطريقة نفسها التصق بيسوع وهو قادر أن يخلصك من نيران الخطية.

ينبغي أن نثق في قدرة الرب يسوع . فهو كاله قادر أن يخلص . وكانسان يرثى لضعفاننا ، وبما أنه إله وانسان في نفس الوقت ، فهو يشترك مع الله في قداسته ، ومع الانسان في بشريته.

كان السلم الذي رآه يعقوب في الحلم طويلا الدرجة أنه يصل بين يعقوب المُضطَجع على الأرض ، وبين يهوه الجالس على العرش في السماء ، ولم يكن بحاجة الى سلم آخر يضاف اليه.

هكذا المسيح ، أن كانت اضافة كلمة واحدة الى وصاياه تجلب اللعنة ، فكم بالأحرى تكون الاضافة الى شخصه الكامل ؟. أذكر أنه هو نفسه « الطريق » فهو لا يحتاج الى طريق آخر يوصلنا اليه . اطرح هذه الأفكار جانبا واحترس منها فهى أشر أنواع التجديف على الله المحب.

هل يمكن أن نأتي الى الرب يسوع وفي أيدينا شيء نقدمه له ثمنا لخلاصنا ؟. وهل يحتاج إلى شيء منا ؟ . وان كان حقا يحتاج ، فأي شيء يمكن أن نقدمه له ؟. وهل يبيع بركات الفداء التي لا تقدر بثمن ؟. الفداء الذي اشتراه بدمه الثمين ، هل يبيعه بدموعنا ، وتعهداتنا ، وعواطفنا ، وأعمالنا ؟.

أن الذي يحاول أن يدفع ثمنا يجهل شخصية من يتعامل معه ، فهو ليس تاجرا ، لكنه شخص كريم يمنح مجانا بحسب ما تملي عليه محبته . في إمكان الخطاة ، أصحاب الأيدي الفارغة ، أن يأخذوا كلما يريدون . فكل ما يحتاجونه عند يسوع ، وهو يعطى لكل من يسأل ، لكن ينبغي أن نؤمن أنه الكل في الكل ، وينبغي ألا نحاول أن نضيف شيئا للعمل الذي أكمله هو ، أو نعمل شيئا به نصبح مستحقين النوال ما يمنحه هو للخطاة غير المستحقين .
والسبب في أن الإيمان هو طريق الحصول على غفران الخطايا والحياة الأبدية ، هو أن الطريق قد رسمه الله ، فقد وعد الله في كتابه المقدس أن يخلص كل من يؤمن باسم الرب يسوع ، ولن يتخلى عن وعده الى الأبد . آن مسرته بابنه الوحيد تجعله يسر ايضا بكل الذين يحتمون به كرجائهم الوحيد ، وهو يعترف بكل من يعترف بالابن ، وهو يخلص كل من يطلب الخلاص من الفادي الذي سفك دمه ، و اكراما لابن محبته ، لا يسمح بفشل أي انسان يثق في الابن . " من يؤمن بالابن له حياة أبدية " ان كنت تثق بالرب يسوع وحده فلا خوف البتة لأنك ستخلص حتما الآن.

حين يؤمن الانسان يصبح في شركة مع الله ، وهذه الشركة هي عربون البركة . فالايمان يخلصنا لأنه يربطنا بالرب يسوع ، وبما أن المسيح والله واحد ، فاننا ترتبط بالله الآب أيضا .

سمعت أنه منذ سنوات طويلة انقلب قارب على شلالات نياجرا ، وكان في القارب شخصان حملهما تيار الماء الجارف .. وألقى الواقفون على الشاطىء حبلا أمسك به الاثنان . فأحدهما أمسك بالحبل بكل قوته وخرج الى الشاطيء سالما . لكن الثاني اذ رأي قطعة كبيرة من الخشب ، ترك الحبل وأمسك بها ظنا منه أنها أكثر ضمانا وأمنا

من الحبل ، ولكن بكل أسف جرف التيار قطعة الخشب و الرجل الذي عليها، لأنها لم تكن مربوطة بالشاطىء ، فغرق الرجل .

هكذا الحال حينما يثق الانسان في أعماله ، أو صلواته ، أو حسناته ، فهذه كلها لا تخلصه ، لأن الرباط الوحيد الذي يربط بين الانسان وبين الله هو الرب يسوع المسيح . لكن الايمان ، وان كان يبدو كالحبل الرفيع ، الا أن طرفه في يد الاله العظيم على شاطىء الأمان ، وحينما تشده القوة الالهية ، ينجو الانسان الذي يمسك به من الهلاك . آه .. ما أمجد الايمان لأنه يربطنا بالله بواسطة المخلص ، الرب يسوع المسيح .

أيها القاريء ، ألا تتفق هذه الحقائق مع المنطق؟ فكر فيها مليا ، وليتك تتحد مع الله عن طريق ايمانك بالرب يسوع .

يخطىء بعض الناس اذ يفصلون شخص المسيح عن الكتاب المقدس ، فهم يسمعون عن الخلاص ، ويقرون أنه أمر كتابي يتفق مع حالتهم ، ولكنهم لا يقومون بالتنفيذ ، أو لا يعطون الاهتمام الكافي لأمر ايمانهم الشخصي بالمسيح - الذي هو الشرط الأساسي للخلاص . فالطريق الى الاسكندرية لن ينقلني اليها ، بل ينبغي أن أسير فيه بنفسي لكي أصل الى هناك . هكذا التعاليم والعقائد ، مهما كانت صحيحة ، فانها لن تخلص الأنسان ما لم يؤمن بالرب يسوع المسيح ايمانا شخصيا .

« كيف يخلص الإنسان ؟»

سأل أحد المبشرين سكان جزيرة سانت هيلانة قائلا : « كيف يخلص الإنسان ؟»، فأجاب رجل مسن : « نخلص أن كنا نتوب ونترك خطايانا ونرجع الى الله » . وقالت سيدة متوسطة العمر : «نعم ، ينبغي أن يكون لنا القلب الطيب » وقال ثالث : « وأيضا بالصلاة » وأضاف رابع : « ينبغي أن تكون الصلاة من القلب » وقال خامس : « بحفظ وصايا الله» . وهكذا شعر كل واحد منهم أنه قدم أفضل اجابة وأحسن تعليم ، لكن المبشر نظر اليهم بتأثر واشفاق وابتدأ يحدثهم عن شخص المسيح المخلص . فالذهن الجسدي يحاول أن يرسم خطة فيها تظهر الذات وتعظم عملها ، لكن طريقة الله عكس ذلك على طول الخط ولقد أوضح الرب يسوع ذلك جليا في (مر 16: 16) « من آمن واعتمد خلص » ، فالايمان و المعمودية أمران بسيطان للغاية حتى أنه لا يوجد مجال لافتخار الجسد عند القيام بهما ، لأنهما ينسبان لعمل النعمة المجانية . وقد رتب الله أمر الخلاص بحيث ينسب النعمة وحدها.

ان كان القارىء العزيز لم يخلص حتى الآن ، فما هو السبب ؟. هل تظن أن طريق الخلاص الموضح في الآية السالفة مبهم ؟ وهل تخشى أنك اذا سرت بموجبه لن تخلص ؟ وكيف يمكن ذلك أن كان الله قد أكد صحته في كلمته ؟ هل في الإمكان أن تفشل طريقة رسمها الله ؟ وأن يسقط وعد من مواعيده ؟

ان كان الخلاص بمثل هذه السهولة فلماذا لم تخلص للآن ؟.

إن سهولة الخلاص تجعل من يهمله بلا عذر . وان كنت مستعدا أن تقوم بعمل عسير فمن باب أولى أن تعمل الشيء السهل : ان الايمان هو أن تثق وتتكل على الرب يسوع ، أو بمعنى آخر أن تكف عن الاعتماد على الذات ، وأن تعتمد على الرب يسوع وحده . فأهم شيء هو أن تؤمن بشخص المسيح وتعترف به .

هل تؤمن بيسوع ؟.

« لا يوجد سوى باب واحد »

اذا ، يا عزيزي ، اطرد مخاوفك وستخلص بكل تأكيد .

هل لازلت غير مؤمن ؟

اذا ، فتذكر أنه لا يوجد سوى باب واحد ، وان كنت لا تدخل منه فستهلك حتما في خطاياك . فالباب موجود ، لكن ما لم تدخل منه فلن تستفيد شيئا.

انه أمر هام جدا أن تطيع وصايا الكتاب المقدس . لا توجد قوة تستطيع أن تخلصك أن كنت لا تصغي لصوت الرب يسوع وتطيعه باخلاص . ان مجرد التفكير والعزم لا يأتي بنتيجة . ينبغي أن تكون عمليا ، وتؤمن بالفعل ، وبدون الايمان العامل لا تستطيع أن تحيا لله .

سمعت عن صديق كانت كل رغبة قلبه أن يستخدمه الله واسطة لخلاص أحد الأشخاص . فقال له أحدهم « في امكانك أن تذهب اليه، وأن تتحدث معه ، لكنه لن يتقدم خطوة واحدة ، لأنه يعرف طريق الخلاص معرفة دقيقة » ، وقد كان هذا هو الواقع ، الأنه لما تقابل معه ، وابتدأ يتحدث اليه، أجاب الشاب : « أشكرك جدا .. لكني لست أظن أنك ستفيدني بشيء جديد ، لأني منذ زمن بعيد وأنا أعلم أن طريق الخلاص هو بواسطة ذبيحة المسيح الكفارية » .

يا للأسف ، لقد اتكل ذلك الشاب على معرفته لطريق الخلاص ، لكنه لم يؤمن بشخص المخلص ٠أن فكرة الخلاص مباركة جدا ، لكنها لا تنفعنا بشيء ما لم نؤمن ايمانا شخصيا بالرب يسوع نفسه .

هل تستطيع الرسومات الهندسية للبيت أن تقيك من المطر والزوابع ؟. وهل تغني عن بناء البيت ؟ ما فائدة رسم الزى وتصميمه ان لم يوجد الثوب الذي يستر لابسه ؟.

مرض أحدهم فذهب إلى الطبيب الذي كتب له تذكرة يصف فيها الدواء المطلوب ، وبعد أسبوع رجع إلى الطبيب ليخبره أنه لايزال مريضا ، فسأله الطبيب : « هل تعاطيت الدواء ؟ » . أجاب الرجل ": نعم ، لقد أكلت التذكرة وبلعتها كلها !!". لقد ظن المسكين أنه يشفي حين يتناول كتابة الطبيب ، وكان الأجدر به أن يصرف الدواء من الصيدلية ويتعاطاه فيشفى .

هكذا بالنسبة للخلاص ، ليس المهم هو فكرة الخلاص في حد ذاتها، لكن في تنفيذ الفكرة بموت الرب يسوع لأجلنا ، وقبولنا له كالفادي والمخلص .

في عهد الناموس ، كان اليهودى يحضر الثور، ويضع عليه يديه ، ولم يكن الأمر مجرد حلم أو نظرية أو فكرة بل كان حقيقة عملية ، لقد كان يكفر عن نفسه بذبيحة تنوب عنه ، وهو يراها ، ويلمسها، ويمسكها بيديه.

وبنفس الكيفية ينبغي أن نتكل على ذبيحتنا الكفارية ، شخص ربنا يسوع المسيح ، وعلى عمله الكامل لأجلنا ، فنحن نأتي اليه بالايمان ونقول:

" لقد سر الله بهذه الكفارة ، وأنا أقبلها. أنا أؤمن بالعمل الذي أكمله على الصليب ، وأن الخطية قد طرحت بعيدا عني عن طريق موت المسيح ، وأنا أتكل عليه " . اذا أردت أن تخلص فعليك ألا تقف عند حد قبول التعليم والعقائد ، بل تتقدم لتحصل على الراحة في شخص الرب يسوع ، وفي عمله الكامل على الصليب .

« تعالوا إليه »

أيها القارىء العزيز ، هل تقبل المسيح الآن ؟.

أن الرب يسوع يدعو جميع المتعبين والثقيلى الأحمال لكي يريحهم ، فمجرد معرفتهم بهذه الراحة، أو اشتياقهم لنوالها ، لا يريحهم . لكن ينبغي أن يأتوا ، ويلبوا النداء « تعالوا » . وينبغي أن يأتوا « اليه » هو شخصيا ، وليس إلى الكنيسة ، أو الى الفرائض والعقائد ، أو أي شيء آخر ، أن عليهم أن يأتوا الى شخصه الكامل ، لما رفعت الحية النحاسية في البرية ، لم يطلب من الناس أن ينظروا لموسى ، أو لخيمة الاجتماع ، أو العمود السحاب ، بل للحية النحاسية نفسها.

فليس المهم هو مجرد النظر ، بل المهم هو النظر لمصدر الشفاء . فمعرفتهم للحية لا تجدي نفعا ، لكن كان ينبغي على كل واحد منهم أن ينظر اليها بنفسه ربما تكون للمريض معرفة جيدة بالدواء ، لكنه اذا لم يتناول الدواء بنفسه ويشربه

فانه سيموت. ينبغي أن نقبل الرب يسوع ، لأن « كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله » . هناك شرطان مهمان : ينبغي أن « نقبل » ، وأن نقبله « هو ». علينا أن نفتح الباب على مصراعيه ونقبل يسوع ، لأن « المسيح فيكم هو « رجاء المجد » . ينبغي أن يكون المسيح بالنسبة لنا ليس مجرد حلم أو خيال ، بل شخصا حقيقيا ، والها حقيقيا ، ويجب أن يكون قبولنا له ليس أمرا اضطراريا ، بل من كل القلب ، وبكل فرح ، وعن اقتناع كامل بأنه المخلص الوحيد ، والكل في الكل لنا. ألا نأتي اليه الآن ، ونضع ثقتنا الكاملة فيه ؟.

حين يطارد الصقر الحمامة لكي يقتنصها ، تطير مسرعة نحو الشق الذي في الصخر ، لأنها تعلم أنه الملجا الوحيد لها الذي يحميها من خصمها العنيد. وبمجرد أن تختبيء فيه ، تطمئن ، ولا تخشى من أي طائر مفترس . لكن ان لم تختبيء في الصخر ، تصبح فريسة سهلة للعدو ، والصخر يصبح عديم الفائدة بالنسبة لها ، ينبغي أن تختفى الحمامة بجملتها داخل الصخر ، عليها أن تدخل داخل المخبأ ، وتدفن نفسها في الصخر ، والا عرضت نفسها للهلاك. يا لها من صورة مصغرة للايمان . انه الالتجاء الى المسيح والاحتماء في جروحه .

لى أيا صخر الدهور قد شققت للتطهير

فبمائك اغســـــــلن قلبي من كل درن

وبدمـــــــــــك الذي سال نفســـي أنقذ

وكما أن الحمامة تختفي عن الأنظار ، ولا يظهر الا الصخر ، هكذا تختفي النفس الخاطئة في جنب يسوع المطعون بعيدا عن سيف العدالة. لكن البعض يؤجلون أمر التجائهم للرب يسوع يوما بعد الآخر ، فيكونون في خطر أن يموتوا في خطاياهم !!. يا لها من حالة رهيبة تلك التي حذر المسيح منها اليهود غير المؤمنين به قائلا لهم : « آن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم » (يو8: 24)

انه مما يحزن القلب أن يكون أحد قراء هذه السطور ضمن الهالكين أبديا .. !! . الله لا يسمح ..!! .

ارتكب أحدهم جريمة تستحق عقاب الموت ، وكان ذلك في العصور القديمة حين كانت الكنائس تعتبر مثل مدن الملجأ التي يلتجيء اليها المذنبون وينجون من الموت ، واذا بالمجرم يجرى الى الكنيسة ، والجنود يجرون وراءه مشهرين سيوفهم ها هم يتبعونه حتى باب الكنيسة ... انه ينهب سلالم الكنيسة نهبا ... والجنود يقتفون أثره ، وبينما أوشك الجنود على اللحاق به لكي يمزقوه اربا اربا ... أذا أسقف الكنيسة يخرج ٠٠. ويرفع الصليب الذي بيده، ويصبح قائلا: « ارجعوا !!..ارجعوا .. !! اياكم أن تلطخوا بيت الله بالدم !! .. ارجعوا .. !! ». وفي الحال يتراجع الجنود القساة ... بينما يختبيء المجرم الهارب خلف رداء الأسقف .. !! .

هكذا الأمر مع الخاطىء الأثيم الذي يهرع إلى المسيح . فمع أن العدل يتعقبه ، الا أن المسيح يرفع يديه المثقوبتين، ويخاطب العدل قائلا : " ارجع ٠٠ !!ارجع .. !! أنا أحمي هذا الخاطىء تحت ظلخيمتي ولن اتركه يهلك لأنه وضع ثقته في "

« كل من يؤمن به لا يخزى »

ايها الخاطي اهرب الى المسيح. ربما تقول انني خاطئ كبير، اعلم ان مجئك له وانت في هذه الحالة يكرمه اكثر ، لأنك تؤمن بأنه يستطيع أن يخلص خاطئاً نظيرك.

ان كان بك مرض خفيف وقلت للطبيب " انني شديد الثقة في مهارتك يا سيدي الطبيب " فإن تصريحك هذا لن يمجد الطبيب، لأن اي شخص يستطيع ان يعالج المرض البسيط. يكن ان كان مرضك خطيراً، وقلت للطبيب " يا سيدي لن اطلب طبيباً غيرك ولن استعمل إلا علاجك لأنني أثق في مهارتك " فإنك بذاك تكرمه لأنك تستودع نفسك بين يديه وأنت في شدة الخطر.

ليتك تفعل نفس الشئ مع المسيح . استودع نفسك له باختيارك، وبدون شك. كن جريئاً واترك كل رجاء آخر، لأنه قادر أن يخلصك إلى التمام، اطرح نفسك عليه بكل بساطة، ولتمتلئ نفسك بالإيمان بالرب يسوع.

آمن به . وثق فيه. لأن الكتاب يقول: " كل من يؤمن به لا يخزى " (1بط 2: 6).

منقول من كتاب " الواقفون على الباب " لسنة 1991. مع الترتيب والتنسيق

ارجوا ان يستخدم الرب هذه العظة لخلاص الكثيرين وانت ايها القارئ ايضاً

صفوت زكي سمعان